

رابعاً : أثبتت الوقائع ، على امتداد العشرين عاماً الأخيرة على الأقل ، ان حدة الصراع العربي - الإسرائيلي وشدة الصراع العربي الداخلي ، متغيران يتناسبان ، دوماً ، تناسباً عكسياً . فكلما ارتفعت درجة غليان أحدهما هبطت درجة غليان الآخر . والقرائن كثيرة لا تدع مجالاً للشك : فالتضامن العربي أثناء حرب ١٩٥٦ كان بمثابة نقيض للتمزق العربي الذي ساد طوال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٥٦ . ولا يشابه هذا التمزق ويفوقه إلا الاقتتال الذي طبع العلاقات العربية في الحقبة ١٩٥٧ - ١٩٦٧ والذي أنهى ، وان لفترة قصيرة جداً ، مع اندلاع نار حرب ١٩٦٧ . ومرة جديدة ، شكلت حرب ١٩٧٣ نقطة تحول نوعي في التضامن العربي مقارنة بالعلاقات العربية الداخلية المتأزمة التي هيمنت على المسرح العربي ما بين الحربين الأخيرتين في ١٩٦٧ و ١٩٧٣ على التوالي . كذلك ، فان بدايات انفراط العقد العربي الذي تشكل قبيل وأثناء وبعد ١٩٧٣ لم تعد خافية على أحد .

خامساً : وان كانت الصراعات المتسمة بالعنف العلني ماثلة للعيان أكثر من غيرها ، فان ذلك لا ينفي وجود أو يغيب حقيقة كون المنطقة مقعبة بالصراعات غير المعلنة ، العنيفة منها وغير العنيفة على حد سواء . وهكذا نرى أن حرب الاستنزاف الدائرة هي أوسع من أن تقتصر على الصدامات الأردنية - الفلسطينية ، واللبنانية - الفلسطينية ، مع ان هذه الصدامات دون غيرها تطفو دوماً على سطح الذاكرة العربية كلما كان هناك حديث عن حرب الاستنزاف الداخلية العربية . ولا غرابة في ذلك ، فالصدامات المخضبة بالأحمر القتاني ثقيلة الحضور ودائمته وبخاصة عند مقارنتها بالصراعات السياسية البيضاء أو غيرها مما يشبهها .

وملف الصدامات العربية - الفلسطينية الحديثة ، الأردنية - الفلسطينية واللبنانية - الفلسطينية بشكل خاص ، يحمل بين غلافه الكثير من الوقائع التي يمكن رصدها منذ البدايات المبكرة للانبعاث الفلسطيني الجديد المتمثل في منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات العمل الفدائي الفلسطيني . وان كان التناقض مع المنظمة قد احتاج وقتاً لينضج (١) ، فان جذوة التناقض ما بين الانظمة والمنظمات ولدت متأججة متفجرة . والفارق عائد الى ما مثلته منظمات العمل الفدائي ، وفي طليعتها حركة فتح ، وما مثلته منظمة التحرير آنذاك . فالعمل الفدائي بضمونه الفكري الثوري وبأسلوبه الجاهري التنظيمي القتالي ، وجد نفسه ، ومنذ اللحظات الأولى ، في وسط حركة جدل صدامي مع كثير من القوى الرسمية وغير الرسمية العربية وبخاصة في الحلقتين الأضعف (الأردن ولبنان) في طوق دول المواجهة مع إسرائيل . ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن العمل الفدائي الفلسطيني ، وبالذات منظمة العاصفة - الجناح العسكري لفتح ، تعرض لنوعين رئيسيين من الإجراءات الرسمية العربية : التعقيم الاعلامي والقمع المادي (٢) .

الا أن الظروف الاستثنائية الناجمة عن الهزيمة العسكرية الفادحة لدول المواجهة في العام ١٩٦٧ أدت الى تعزيز فكرة العمل العربي الشعبي المسلح بشكل عام والى تدعيم العمل الفدائي الفلسطيني بشكل خاص . وكانت النتيجة أن نما العمل الفدائي على مختلف المستويات التنظيمية والجاهرية ، السياسية والعسكرية ، وتحولت منظماته الى قوة بارزة ضمن شبكة القوى الفاعلة في الشرق الأوسط . وهكذا أصبح « الوجود الفلسطيني » منذ العام ١٩٦٨ في الأردن ، والعام ١٩٦٩ في لبنان ، حقيقة واقعة . وكان لذلك نتائج خطيرة :

فمن جهة ، عنى نمو العمل الفدائي السياسي والاعلامي والقتالي ازدياداً في عملياته